ابتسم.. ثم ابتسم.. ثم ابتسم

أعرفه منذ سنين.. فهو أحد زملائي في عملي.. وعلى كل حال.

لكن هل تصدق إنني إلى الآن لا أدري هل نبتت له أسنان أم لا!!

دائم التجهم.. والعبوس.. وكأنه إذا ابتسم نقص عمره.. أو قل ماله!!

قال جرير بن عبد الله البجلي: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي..

الابتسامة أنواع.. ومراتب.. فمنها البشاشة الدائمة.. أن يكون وجهك صبوحًا مبتهجًا دائمًا.

فلو كنت مدرسًا ودخلت الفصل على طلابك.. فالقهم بوجه بشوش.

ركبت طائرة.. ومشيت في الممر، والناس ينظرون إليك كن بشوشًا.

دخلت بقالة.. أو محطة وقود.. مددت له الحساب.. ابتسم.

ولو كنت في مجلس.. ودخل شخص وسلم بصوت عالٍ.. ومرَّ بنظره على الجالسين.. ابتسم.

ولو دخلت على مجموعة.. وصافحتهم.. ابتسم.

وعمومًا.. الابتسامة لها من التأثير الكبير في امتصاص الغضب والشك والتردد.. ما لا يشاركها غيرها.. البطل هو الذي يستطيع التغلب على عواطفه.. ويبتسم.. حتى في أحلك المواقف.

كان أنس بن مالك ﷺ يمشي مع النبي ﷺ يومًا.. والنبي ﷺ عليه بُرد نجراني غليظ الحاشية.. فلحقهما أعرابي..

أقبل هذا الأعرابي يجري وراء النبيِّ ﷺ يريد أن يلحق به.. حتى إذا

obeikandl.com

اقترب منه.. جذبه بردائه جذبةً شديدةً.. فتحرَّك الرداء بعنف على رقبة النبيِّ ﷺ.

قال أنس رضي الله عنه: حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ.. قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جذبته.

فماذا يريد هذا الرجل؟!

لعل بيته يحترق وأقبل يريد معونة.

أو أحاطت بهم غارة من المشركين.. فأقبل فزعًا يريد نصرة.

اسمع ماذا يريد.

قال: يا محمد.. (لاحظ لم يقل: يا رسول الله).

قال: يا محمد.. مُر لي من مال الله الذي عندك.

فالتفت رسول الله ﷺ.. ثم ضحك.. ثم أمر له بعطاء.

نعم.. كان ﷺ بطلًا لا تستفزه مثل هذه التصرفات.. ولا يعاقب أو تثور أعصابه على التفاهات.

كان واسع البطان.. قويًّا يضبط أعصابه.. دائم الابتسامة حتى في أحلك الظروف.. يفكر في عواقب الأمور قبل أن يفعلها.. وماذا يفيد لو أنه صرخ بالرجل أو طرده!

هل سيشفي جرح عنقه! أو يصلح أدب الرجل كلا..

إذن ليس مثل الصبر والتحمل.

نعم بعض الأمور نثور لها ونغضب.. وعلاجها شيء آخر تمامًا.. نعالجها بالرفق.. واللين.. والتبسم.. وإحسان الظن.. وكظم الغيظ.. وكسب الناس.

وصدق ﷺ لما قال: «ليس الشديد بالصُّرعة.. إنما الشديد الذي يملك

obeikandl.com

نفسه عند الغضب».

كان النبيُّ الكريم ﷺ يجذب الناس بالتبسم والبشاشة.

خرجوا إلى غزوة خيبر.. وفي أثناء القتال.. وقع من حصن اليهود جراب فيه شحم.. قربة كاملة مملوءة سمنًا.. التقطه عبد الله بن مغفل ﷺ وحمله على عاتقه فرحًا، ومضى به إلى رحله وأصحابه.

فلقيه الرجل المسئول عن جمع الغنائم وترتيبها.. فجذب الجراب إليه.. وقال: هات هذا نقسمه بين المسلمين.. فتعلق به عبد الله: لا والله.. لا أعطيكه.. أنا أصبته.

قال: بلى.. وجعلا يتجاذبان الجراب.

فمرَّ بهما رسول الله ﷺ.. فرآهما.. وهما يتجاذبان الجراب.

فتبسم ﷺ ضاحكًا.. ثم قال لصاحب المغانم: «**لا أبا لك.. خَلِّ بينَهُ وبينَهُ**».. فتركه الرجل في يد عبد الله.. فانطلق به عبد الله إلى رحله وأصحابه.. فأكلوه.

وأخيرًا.. تبسمك في وجه أخيك صدقة.

قدوة.

وما رآني إلا تبسم!!

الخطـوط الحمـــر

كان من طلابي في الجامعة.. كان واسع الثقافة.. حريصًا على تكوين علاقات مع الناس.. لكنه كان ثقيل الدم عليهم.

جاءني يومًا.. وقال: يا دكتور.. زملائي يغضبون مني دائمًا.. لا يتحملون مزاحي.

قلت في نفسي: أنا لا أحتملك ساكتًا.. فكيف أحتملك متكلمًا..؟! خاصة إذا كنت تستخف دمك وتمزح..!

سألته: لماذا لا يحتملون مزاحك؟! أعطني مثالًا.

قال: عطس أحدهم فقلت: الله يلعنك (ثم سكت).. فلما غضب.. أكملت قائلًا: يا إبليس.. ويرحمك يا فلان..!!

آآآه.. ما أثقل مزاحه!!

مسكين كان يظن نفسه بذلك خفيف الدم!!

الناس مهما قبلوا مزاحك ومداعباتك.. إلا أنه تبقى هناك خطوط حمراء لا يحبون أن تتعداها.. خاصة إذا كان ذلك أمام الآخرين.

بعض الناس لا يراعي ذلك.. فتجد أنه يعتدي على حاجاتهم.

فمثلًا من باب (الميانة) يأخذ هاتفك الجوال ويتصل به كما يريد.

أو ربما أرسل رسائل من هاتفك الشخصي إلى أشخاص أنت لا ترغب أن يظهر رقم هاتفك عندهم.

أو يأخذ سيارتك بغير إذنك.. أو يحرجك بطلبها حتى تأذن على مضض.

obeikandl.com

أو تجد مجموعة طلاب يسكنون في شقة واحدة.. يستيقظ أحدهم ليذهب إلى جامعته.. فيجد أن معطفه قد لبسه فلان.. وحذاءه في رجل فلان.

ومن تعدى الخطوط الحمراء أنك تجد بعض الناس يُحرج صاحَبهُ بمزحةٍ ثقيلةٍ أو سؤال محرج في مجلس عام.

والشخص مهما بلغ من المحبة لك إلا أنه يبقى بشرًا يرضى ويغضب.. ويفرح ويسخط.

لما أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة راجعًا من تبوك.. قدم عليه في ذلك الشهر عروة بن مسعود الثقفي.. وكان سيدًا جليل القدر.. رفيع المكانة عند قومه ثقيف.. فأدرك النبي ﷺ قبل أن يصل إلى المدينة.. فأسلم.. وسأله أن يرجع إلى قومه فيدعوهم إلى الإسلام.

فخاف عليه ﷺ من أذى قومه.. وقال له: إنهم قاتلوك.

وعرف ﷺ أن قبيلة ثقيف فيهم نخوة الامتناع.. والصرامة في التعامل.. حتى لو كان مع رئيسهم.

فقال عروة: يا رسول الله.. أنا أحب إليهم من أبكارهم.. وأبصارهم.

وكان محببًا مطاعًا فيهم.. فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه.. لعظم منزلته فيهم.

فلما وصل إلى ديار قومه.. رقى على مرتفع وصاح بهم حتى اجتمعوا.. وهو سيدهم.

فدعاهم إلى الإسلام.. وأظهر لهم أنه أسلم.. وجعل يردد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فلما سمعوا منه ذلك.. صاحوا.. وثاروا أن يتركوا آلهتهم.. ورموه بالنبل

من كل جهة.. حتى وقع صريعًا ﷺ.. فأقبل إليه أبناء عمه.. وهو ينازع الموت.. وقالوا: يا عروة: ما ترى في دمك؟ يعني: هل نأخذ بثأرك ونقتل من قتلك؟!

فقال: كرامة أكرمني الله بها.. وشهادة ساقها الله إليَّ.. فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ.. فلا تقتلوا لأجلي أحدًا.. ولا تأخذوا بثأري من أحد.

فقيل: إن النبي ﷺ لما بلغه خبر مقتله.. قال فيه: إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه..

فانتبه!

الناس لهم أحاسيس مهما بلغت في القرب منهم، فلا تجترئ عليهم كثيرًا.. من خلال مزاحك.. أو تعاملك.. ابق بعيدًا عن الخط الأحمر.. لا تجرحهم مهما بلغت منزلتك في قلوبهم.. وإن كانوا في منزلة الأخ والولد.. لذا نبَّه النبي ﷺ على ذلك.. فنهى عن ترويع المؤمن.

كان ﷺ يومًا يسير مع أصحابه.. وكان كل واحد منهم معه متاعه.. سلاحه.. فراشه.. طعامه.. نزلوا منزلًا.. فنام رجل منهم.. فأقبل صاحبه إلى حبل معه فأخذه.. مازحًا فاستيقظ الرجل.. فوجد متاعه ناقصًا.. ففزع.. وأخذ يبحث عن حبله.

فقال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا».

وفي يوم آخر.. كانوا يسيرون مع النبيِّ ﷺ في مسير.. فنعس رجل وهو على راحلته.. فغافله صاحبه وانتزع سهمًا من كنانته.. فشعر الرجل بمن يعبث بسلاحه.. فانتبه فزعًا مذعورًا.. فقال ﷺ: «**لا يحل لرجل أن يروع مسلمًا**».

ومثله الذي يمزح معك، ويظن أنه يسرك وهو يضرك.. بل يملأ قلبك فزعًا وغمًّا.. فيراك أوقفت سيارتك عند بقالة -مثلًا- وهي تشتغل فيأتي ويقودها ويذهب بها بعيدًا.. ويوهمك أنها سرقت.. مازحًا.. قد يجاملك صاحبك ويضحك أحيانًا على مزحة مروعة.. لكنه متألم..

ولـربما صـبر الحلـيم عـلى الأذى وفـــؤاده مـــن حـــره يتـــأوه
ولـــربما شـــكل الحلـــيم لســـانه حـــذر الكـــلام وإنـــه لمفـــوه

وجهة نظر

كل ما زاد عن حده.. انقلب ضده.

وكم مزحة انتهت شجارًا!!

obeikandl.com

حفـــظ الســـرِّ

اشتهر قديمًا: كل سر جاوز الاثنين.. شاع.

ومن اللطائف أن أحدهم سئل: من الاثنين؟ فأشار إلى شفتيه.. وقال: هذان!! خلال أكثر من خمس وثلاثين سنة مضت من عمري.. لا أذكر أني همست في أذن أحد من الناس بسر.. واستأمنته إياه.. إلا قسم إيمانًا مغلظة أن سري في بئر ليس له قاع!

ولا أذكر أن أحد منهم صار صريحًا، وقال بعدما سمع سري: يا محمد.. اسمح لي لا أستطيع أن اكتمه.

بل كل شخص تحدثه بسرك يضرب بيده صدره.. ويقول: والله لو وضعوا الشمس في يميني.. والقمر في شمالي.. أو السيف على رقبتي.. على أن أخبر بسرك.. ما أخبرت!!

ثم إذا اطمأننت ووثقت.. وكشفت له أسرارك.. تصبر شهرين أو ثلاثة.. ثم حدث به.. فلا يزال سرّك يتناقل حتى يصلك.. وأنت المخطئ ابتداءً سرك لا ينبغي أن يجاوز شفتيك.

لا تكلف الناس ما لا يطيقون..

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

جربت كثيرًا من الناس فوجدتهم كذلك.. والمشكلة أنك تأتيهم على سبيل الاستشارة.. فيشيرون عليك.. ثم يفضحون سرك.. فيسقطون من عينك.. ويصبحون من أبغض الناس إليك.

ومن أعجب ما في التاريخ:

أنه قبل معركة بدر.. لما سمع النبي ﷺ بقافلة قريش مقبلة من الشام وأراد قتالها.. خرج ﷺ إليها مع أصحابه.. فلما شعر بهم أبو سفيان قائد القافلة.. استأجر رجلًا اسمه ضمضم بن عمرو الغفاري.. وقال: اذهب وأخبر قريشًا بالخبر.. فانطلق ضمضم مسرعًا إلى مكة.

كان وصوله مكة يحتاج أن يسير أيامًا.. وأهل مكة لا يدرون عن شيء من ذلك.. وفي ليلة من الليالي رأت عاتكة بنت عبد المطلب في منامها.. رؤيا أفزعتها..

فلما أصبحت بعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب.. فقالت له: يا أخي.. والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني.. وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة.. فاكتم عليَّ ما أحدثك.. ولا تحدث به أحد.

قال لها: نعم.. وما رأيت؟

قالت: رأيت راكبًا أقبل على بعير.. حتى وقف بوادي «الأبطح».. ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث..! (أي: اذهبوا أيها الغادرون إلى موتكم خلال ثلاثة أيام!).

قالت: فأرى الناس قد اجتمعوا إليه.. ثم مضى فدخل المسجد والناس يتبعونه.. فبينما هم حوله؛ إذ صعد به بعيره فوق الكعبة.. ثم صرخ بمثلها: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث.

ثم صعد به بعيره على رأس جبل أبي قبيس.. فصرخ بمثلها: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاثة.

ثم أخذ صخرة فقذفها من أعلى الجبل.. فأقبلت تهوي من فوق الجبل.. حتى إذا كانت بأسفل الجبل تكسرت وقسمت إلى حصى صغار.

فما بقى بيت من بيوت مكة إلا دخلته كسرة من الصخرة.. فاضطرب العباس وقال: والله إن هذه لرؤيا!

ثم خشي أن تنتشر فيصيبه أذى.. فقال لها محذرًا: وأنت فاكتميها لا تذكريها لأحد.

ثم خرج العباس منشغل البال بأمر هذه الرؤيا.. فلقي الوليد بن عتبة وسط الطريق.. وكان له صديقًا.. فحدثه بالرؤيا.. وقال له: اكتمها.. فلا تخبر بها أحدًا.

فمضى الوليد.. فلقي ابنه عتبة فحدثه بها!!

ثم لم يمض سويعات.. حتى حدث بها عتبة بعض أصحابه.. ثم تناقلها الناس.. وفشا الحديث بها في أهل مكة.. حتى تحدثت بها قريش في مجالسها.

وفي الضحى ذهب العباس ليطوف بالكعبة.. فإذا أبو جهل جالس في رَهْط من قريش.. في ظل الكعبة.. يتحدثون برؤيا عاتكة!! فلما رأى أبو جهل العباسَ قال: يا أبا الفضل.. إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا.

تحيَّر العباس ماذا يريد منه أبو جهل.. لكنه استبعد أن يسأله عن رؤيا عاتكة، فقضى العباس طوافه، ثم توجَّه إلى مجلس أبي جهل.

فلما أقبل إليهم العباس وجلس معهم.. قال له أبو جهل: يا بني عبد المطلب.. متى حدثت فيكم هذه النبية؟

قال: وما ذاك؟

قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة.

ففزع العباس وقال: وما رأت؟

قال: يا بني عبد المطلب.. أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟

قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث.

فسننتظر بكم ثلاثة أيام.. فإن يك حقًّا ما تقول.. فسيكون.

وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت في العرب.. فاضطرب العباس.. وما رد عليه شيئًا.. وجحد الرؤيا.. وأنكر أن تكون رأت شيئًا.. ثم تفرقوا.

فلما دخل العباس بيته.. لم تبق امرأة من بني عبد المطلب.. إلا جاءت إليه غاضبة.. تقول: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم.. ثم قد تناول النساء وأنت تسمع.. أما فيكم حميّة.

فاحتمى العباس.. وثار.. وقال: والله لئن عاد أبو جهل إلى مثل كلامه.. لأفعلن وأفعلن.

فلما كان اليوم الثالث من رؤيا عاتكة.. ذهب العباس إلى المسجد.. وهو مغضب.

فلما دخل المسجد رأى أبا جهل.. فمشى نحوه يتعرّضه ليعود لبعض ما قال فيقع به.. فإذا بأبي جهل يخرج من باب المسجد يشتد مسرعًا.

فعجب العباس من سرعته..!! فقد كان مستعدًّا لخصومة وعراك.. فقال العباس في نفسه: ما له لعنه الله؟! أكل هذا خوفٌ مني أن أشاتمه؟!

وإذا أبو جهل قد سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري الذي أرسله أبو سفيان ليستعين بأهل مكة.. وإذا ضمضم يصرخ في الوادي واقفًا على بعيره.. قد جدع أنف بعيره.. والدم يسيل على وجه البعير.

obeikandl.com

وقد شقَّ ضمضم قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة.. اللطيمة.. أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها.. ثم صاحب بأعلى صوته: الغوث.. الغوث.

عندها تجهزت قريش وخرجت.. وكان من أمرها في معركة بدر ما كان من الهزيمة والذل.

فتأمل كيف انتشر السر في لمحة عين.. مع قوة الحرص وشدة الاستئمان..!!

ومن نَشر السر أيضًا.

إن عمر ﷺ لما أسلم.. أراد أن ينشر الخبر.. فأقبل إلى رجل منهم.. هو أعظمهم نشرًا للإشاعة.. فقال: يا فلان.. إني محدثك بسرٍّ.. فاكتم عني..!

قال: ما سرك؟ **قال:** إني قد أسلمت.. فانتبه.. لا تخبر أحدًا.

ثم تولى عنه عمر.. فما كاد يغيب عنه.. حتى جعل الرجل يطوف بالناس.. ويقول لكل واحد منهم: أعلمت أن عمر أسلم..!! أعلمت أن عمر أسلم..!!

عجبًا!! وكالة أنباء متنقلة.

وفي يوم من الأيام بعث النبيُّ ﷺ أنسًا في حاجة.. فمرَّ بأمه.. فسألته.. إلى ماذا أرسلك النبي ﷺ؟ **فقال:** والله.. ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ.

لذا كان النبي ﷺ يربي أصحابه على حفظ الأسرار ليكونوا على قدر المسئولية.

هكذا كان أنس وهو صغير.. في شدة حفظه للسر.. وأنَّى لك اليوم أن تجد مثل أنس.

obeikandl.com

قالت عائشة -رضي الله عنها: أقبلت فاطمة تمشي.. كأنّ مشيتها مشية النبي ﷺ.. فقال النبي ﷺ: «**مرحبًا بابنتي**».. ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثًا.. فبكت!! فقلت لها: لم تبكين.. ثم أسرَّ إليها حديثًا.. فضحكت.. فقلت: ما رأيت كاليوم.. فرحًا أقرب من حزن.

فسألتُ فاطمة عما قال لها النبي ﷺ؟

فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ.

حتى قُبض النبي ﷺ.. فسألتها؟

فقالت: أسرَّ إليَّ: «**إن جبريل كان يعارضني**[1] **القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين.. ولا أراه إلا حضر أجلي.. وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي**».. فبكيت.. فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة.. أو نساء المؤمنين**».. فضحكت لذلك.

فأنت بمقدار حفظك للسر يثق فيك الناس ويفتحون لك قلوبهم.. ويرتفع قدرك عندهم.. ويشعرون أنك أهل للثقة والأمانة.

فعوِّد نفسك أن تمسك أسرارك لنفسك.. وتحفظ أسرار الآخرين.

قالوا

من عرف سرَّك أَسَرك.

---

(١) يعارضه القرآن: يراجع القرآن معه.

obeikandl.com

قضـــــاء الحاجــات

لما بدأتُ في دراسة الماجستير.. اطَّلعَت على عدد أوسع من كتب الفرق والطوائف.. من بين هذه المذاهب.. المذهب البراجماتي.. وترجمته بالعربية: المذهب النفعي.

لما تبحرت في دراسة هذا المذهب أدركت لماذا كنا نسمع في أوربا وأمريكا.. أنه في كثير من الأحيان يهجر الابن أباه.. وإذا قابله في مطعم فكل واحد منهما يحاسب عن نفسه.

فعلًا.. ما دام أني لن أستفيد منك فلماذا أخدمك؟! لماذا أنفق مالي؟! وأصرف وقتي؟! وأبذل جهدي؟! دون مردود مادي يعود عليَّ.

الإسلام قلب هذا الميزان.

فقال الله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال ﷺ: «لئن أمشي مع أخي في حاجة حتى أثبتها له.. أحب إليَّ من أن اعتكف في مسجدي هذا شهرًا».

ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

وكان ﷺ يمشي في الطريق فتوقفه الجارية وتقول: لي إليك حاجة.. فيقف معها حتى يسمع حاجة.

وقد يمضي معها إلى بيت سيدها ليقضيها لها.. بل كان ﷺ يخالط الناس ويصبر على أذاهم.

كان يعاملهم بنفس رحيمة.. وعين دامعة.. ولسان داع.. وقلب عطوف.. كان يشعر أنه هو وهم جسد واحد.. يشعر بفقر الفقير.. وحزن الحزين.. ومرض المريض.. وحاجة المحتاج.

انظر إليه ﷺ وقد جلس في مسجده يحدث أصحابه، فإذا به يرى سوادًا مقبلًا عليه من بعيد.

نظر إليهم.. فإذا هم قوم فقراء أقبلوا عليه من مُضَر.. من قِبَل نجد.. وكانوا من شدة فقرهم قد اجتابوا النمار.

يعني يملك أحدهم قطعة قماش فلا يجد ثمن الإبرة والخيط.. فيخرق القماش من وسطه ثم يخرج رأسه ويسدل باقيه على جسده.

أقبلوا قد اجتابوا النمار.. وتقلدوا السيوف.. وليس عليهم أزر ولا شيء غيرُها.. لا عمامة ولا سراويل ولا رداء.

فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بهم من الجهد والعري والجوع.. تغير وجهه.. ثم قام.. فدخل بيته.. فلم يجد شيئًا يتصدق به عليهم.. فخرج.. ودخل بيته الآخر.. وخرج.. يبحث.. يلتمس شيئًا لهم.. فلم يجد.

ثم راح إلى المسجد.. فصلى الظهر.. ثم صعد منبره.. فحمد الله وأثنى عليه.. ثم قال: أما بعد.. فإن الله ﷻ أنزل في كتابه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾

[النساء: ١].

ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وجعل يتلو الآيات والمواعظ.. ثم صاح بهم.. وقال: تصدقوا قبل ألا تصدقوا.. تصدقوا قبل أن يحال بينكم وبين الصدقة.. تصدق امرؤ من دينارِه.. من درهمه.. من بره.. من شعيره.. ولا يحقرن أحدكم شيئًا من الصدقة.

وجعل يُعدد أنواع الصدقات حتى قال: ولو بشق تمرة.. فقام رجل من الأنصار بصرة في كفه.. فناولها رسول الله ﷺ وهو على منبره.

فقبضها رسول الله ﷺ عرف السرور في وجهه..

وقال: من سنَّ سُنة حسنة فعُمِلَ بها كان له أجرها.. ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيء.. ومن سن سنة سيئة فعمل بها.. كان عليه وزرها.. ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء.

فقام الناس.. فتفرقوا إلى بيوتهم.. وجاءوا بصدقات.. فمن ذي دينار.. ومن ذي درهم.. ومن ذي تمر.. ومن ذي ثياب.

حتى اجتمع بين يديه ﷺ كومان.. كون من طعام.. وكوم من ثياب.. فلما رأى ﷺ ذلك تهلل وجهه حتى كأنه فلقة من قرم.. ثم قسمه بين الفقراء..» رواه مسلم.

نعم.. كان ﷺ يدخل إلى قلوب الناس.. بقضاء حاجاتهم.. يصرف من جهده ووقته وماله لأجلهم. لما سئلت عائشة عن حاله ﷺ في بيته.. قالت:

كان يكون في حاجة أهله.. أو في مهنة أهله.

أفلا تجعل من طرق دخولك إلى قلوب الناس.. قضاء حاجاتهم.

احتاج شخص إلى مستشفى.. فأوصلته إليه.

استعان بك في مشكلة فأعنته عليها.. يراك تقضي حاجته.. وتقف معه في كربته.. وهو يعلم أنك لا ترجو من ذلك جزاءً ولا شكورًا.. فيحبك ويدعو لك.. ويكون مستعدًّا لعونك لو احتجت..

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

رؤيـــة

من عاش لغيره فسيعيش متعبًا..
لكنه سيحيا كبيرًا.. ويموت كثيرًا.

obeikandl.com

لا تتكلف ما لا تطيق!!

كان صاحبي من خيار الناس.. خلقًا ودينًا وعقلًا.. كان إمام مسجد بجانب بيته.

لكني كنت أسمع ذمه على ألسنة أناس كثيرين.. كنت أتعجب من ذلك.. ولا أجد له جوابًا.

حتى جاءني يومًا جاره.. وقال: يا شيخ.. صاحبك.. لا يصلي بنا.. ولا معنا!! قلت: لم؟!!

قال: لا أدري.. لكنه هو الإمام.. ومع ذلك يغيب كثيرًا عن المسجد.

فجعلت ألتمس له الأعذار.. فقلت: لعله مشغول بأمر ضروري.. لعله غير موجود بالبيت.

قال: يا شيخ.. سيارته واقفة عند الباب.. وأنا متأكد أنه في بيته ومع ذلك لا يشهد معنا صلاة الجماعة وهو الإمام!!

جعلت أتقصى السبب لنصح صاحبي.. حتى وجدت السبب.

الرجل بحكم إمامته للمسجد.. يأتي إليه الناس ويلتمسون منه الإعانة في حاجاتهم.

هذا عليه دَيْن يريد أن يبحث له عمن يسدده.

وهذا متخرج من الثانوية، ويريد شفاعة لدخول الجامعة.

وهذا مريض يريد إعانته على دخول المستشفى الفلاني.

وهذا عنده بنات كبار ويريد لهن أزواج.

obeikandl.com

وهذا عليه إيجار لبيته لم يسدده.

وهذا أعطاه ورقة استفتاء في طلاق ليذهب بها للمفتي العام..

وهذا.

ويتتابع عليه أصحاب الحاجات، وهو رجل عادي ليس له قدرات كبيرة، ولا علاقات واسعة.. ولا وجاهة متميزة..

وكان المسكين يغلبه الحياء والخجل من كل أحد.. فلا يقدر أن يعتذر من أحد أبدًا.. بل يأخذ معروض هذا ويعده بسداد دينه.

ويكتب رقم هاتف الثاني.. ويعده أن يقبل في الجامعة.

ويقول للثالث: تعال بعد يومين وتجد ورقة دخول المستشفى جاهزة.. وهكذا دواليك.

فيأتونه على الموعد.. ويعتذر.. ويعطيهم مواعيد أخرى.. حتى صار يتهرب منهم.. ولا يرد على هاتفه.. بل وأحيانًا لا يخرج من بيته..!!

وصار من يلقاه منهم.. إن وجده.. يسبه ويصرخ به.. ويردد: طيب لماذا تعدني.. لماذا تجعلني أبني الآمال عليك.

والثاني يقول: لم أكلم إلا أنت.. وتركت غيرك لما وعدتني.

لما عرفت حاله.. أيقنت أنه حفر لنفسه حفرة.. ثم تردى فيها.

سمعته مرة يعتذر من أحدهم.. ويقول: آسف.. لم أستطع أن أفعل شيئًا في موضوعك.. وذاك يقول بكل قوة: طيب أنت ضيعت الوقت عليَّ.. ليتك أخبرتني من قبل.

تذكرت عندها قول الحكيم: الاعتذار في البداية خير من الاعتذار في

النهاية.. ما أجمل أن يعرف المرء قدراته.. ويتحرك في حدود الدائرة المرسومة حوله.. والله تعالى يربينا على ذلك ويقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].. ويقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].. والنبي ﷺ نهى أن يكلف الرجل نفسه ما لا يطيق.

ولقد جربت ذلك بنفسي.. أذكر أني ألقيت محاضرة في أحد المجمعات العسكرية بالرياض.. وبعدها جاءني أحدهم وقال: يا شيخ أريدك في موضوع ضروري جدًّا.

قلت: تفضل.. ما هو؟

قال: لا.. ما يصلح أن أذكره الآن.. لا بدَّ أن قابلك في وقت واسع.

جعل يُعظم حجم الموضوع، وأنا استمع له بلطف.

وقد علمتني الحياة أن أكثر الناس يعطون الأمور أكبر من حجمها.. وصاحب الحاجة مجنون بها حتى تقضى..

قال لي: أظن لك محاضرة غدًا في مدينة كذا.. وهي مدينة على بعد ٢٠٠كم من الرياض. **قلت:** صحيح.

قال: سآتي إليك هناك.. وأقابلك بعد المحاضرة.

تعجبت من حرصه.. وفعلًا.. خرجت بعد المحاضرة فخرج الرجل ورائي مسرعًا حافي القدمين.. يحمل ورقة صغيرة في يده.. وقفت معه جانبًا.

قلت: تفضل.. شكر الله حرصك.. ما حاجتك؟

قال: يا شيخ.. عندي أخ يحمل الشهادة الابتدائية.. وأريدك أن تدبر له وظيفة.

obeikandl.com

قلت: بس؟!! **قال:** بس؟!!

كان الرجل متحمسًا.. ومنظره يثير الشفقة.. ويبدو أن أخاه يمر بظروف صعبة فعلًا.

أيقنت أني لو وعدته سأخلف.. فنحن في زمن لا يكاد حامل البكالوريوس أن يجد وظيفة.. فضلًا عن حامل الابتدائية.. وأنا أعرف حدود قدراتي.

كان الموقف محرجًا بالنسبة إليَّ.. وتمنيت لو كان لي من الأمر شيء لأعين ذا الحاجة الملهوف.. لكني -فعلًا- لا أملك له شيئًا.

أردت أن اعتذر بأسلوب عاطفي يناسب حاله وحماسه.

قلت: يا أخي.. والله أتمنى أن أساعدك.. وأخوك أخي.. وأنا أتألم له كما تتألم.. لكني لا أستطيع مساعدتك أبدًا.. أتمنى أن تتكرم عليَّ وتعفيني.

قال: يا شيخ.. حاول. **قلت:** لا أقدر.

فناولني الورقة التي في يده.. وقال: طيب.. يا شيخ خذ هذه الورقة فيها أرقام هواتفنا.. إذا وجدت له وظيفة فاتصل بنا.

أدركت أنه يريد أن يربطني بحبل أَمَل.. سيظل ينتظر الاتصال.. ويبقى الآمال ويتمنى.. ويمني أخاه..

فقلت: بل دع الورقة معك.. وخذ رقمي أنت.. وإن وجدت أنت له وظيفة فاتصل بي.. لعلي أن أكتب لك شفاعة للمسئول فيها لقبوله.

سكت الرجل قليلًا.. انتظرت أن يودعني.. لكني تفاجأت أنه قال لي: بيض الله وجهك!! والله يا شيخ.. سبق أن كلمت الأمير.... في موضوع أخي منذ سنة.. فأخذ الورقة.. ولم يتصل بي إلا الآن.

obeikandl.com

ومرة كلمت اللواء.... فاخذ الورقة أيضًا.. ولم يتصل ولم يهتم.. هؤلاء أناس ما يهتمون بالضعفاء.. الله ينتقم منهم.. الله.

وبدأ يدعو عليهم.. فقلت في نفسي.. الحمد لله.. لو أخذت الورقة لصرت ثالثهم.

نعم.. الاعتذار في البداية خير من إخلاف الوعد.. ما أجمل أن نكون صرحاء مع الآخرين.. عارفين لحدود قدراتنا.

وهذا ليس خاصًّا فقط بحاجات الناس، بل حتى الحاجات الصغيرة للزوجة والأولاد.

أحيانًا عند خروجك من البيت.. تصرخ بك زوجتك.. أحضر معك حليبًا.. وسكرًا.. وحفائظ.. وعشاء.

فانتبه.. لا تردد: طيب.. طيب.. وأنت تعلم أنك لا تستطيع.. وإنما أصرخ بها أنت أيضًا وقل: ما أقدر..!! فهي خير من الاعتذار عند العودة.. ضاق وقتي.. أقفلت المحلات.. نسيت.

وكذلك مع زملائك.. وإخوانك.

أرجو أن تكون الفكرة وصلت.

تجربة

الاعتذار في البداية..

خير من الاعتذار في النهاية.

مـــن ركل القطـــة؟!

قبل أن تجيب عن السؤال.. اسمع القصة كاملة:

كان يعمل سكرتيرًا لمدير سيئ الأخلاق.. لا يطبق مهارة واحدة من مهارات التعامل مع الناس.. كان هذا المدير يراكم الأعمال على نفسه.. ويحملها ما لا تطيق.

صاح بسكرتيره يومًا.. فدخل ووقف بين يديه. **قال:** سَمْ.. تفضل؟

صرخ به: اتصلت بهاتف مكتبك.. ولم ترد. **قال:** كنت في المكتب المجاور.. آسف. **قال بضجر:** كل مرة آسف.. آسف.. خذ هذه الأوراق.. ناولها لرئيس قسم الصيانة.. وعد بسرعة.

مضى السكرتير متضجرًا.. وألقاها على مكتب رئيس قسم الصيانة.. وقال: لا تؤخرها علينا. تضايق الرجل من أسلوب السكرتير وقال: طيب ضعها بأسلوب مناسب.

قال: مناسب.. غير مناسب.. المهم خلصها بسرعة.

تشاتما.. حتى ارتفعت أصواتهما.. ومضى السكرتير إلى مكتبه.. بعد ساعتين أقبل أحد الموظفين الصغار في الصيانة.. إلى رئيسه وقال: سأذهب لأخذ أولادي من المدرسة وأعود. **صرخ الرئيس:** وأنت كل يوم تخرج.

قال: هذا حالي من عشر سنوات.. أول مرة تعترض عليَّ..

قال: أنت ما يصلح معك إلا العين الحمراء.. ارجع لمكتبك.

مضى المسكين إلى مكتبه متحيرًا من هذا الأسلوب.. وصار يجري الاتصالات يبحث عمن يوصل أولاده من المدرسة للبيت.. حتى طال

obeikandi.com

وقوفهم في الشمس.. وتولى أحد المدرسين إيصالهم.

عاد هذا الموظف إلى بيته غاضبًا.. فأقبل إليه ولده الصغر معه لعبة.. وقال: بابا.. هذه أعطانيها المدرس لأنني.. صاح به الأب: اذهب لأمك.. ودفعه بيده.

مضى الطفل باكيًا يمشي إلى أمه.. فأقبلت إليه قطته الجميلة تتمسح برجليه كالعادة.. فركلها الطفل برجله فضربت بالجدار.

السؤال: من ركل القطة؟ أظنك.. تبتسم.. وتقول: المدير.

صحيح المدير: لأنه ضغط نفسه حتى انفجر.

لماذا لا نتعلم فن توزيع الأدوار.. والأشياء التي لا نقدر عليها نقول بكل شجاعة.. هذه ليست في أيدينا.. لا نقدر.. خاصة أنك إذا ضغطت نفسك فإن تصرفاتك قد يتعدى ضررها إلى أقوام لم يكونوا طرفًا في المشكلة أصلًا.

وانتبه أن يستثيرك الآخرون.. ويحرجوك فتضطر لإعطاء وعود.. قد لا تستطيع تنفيذها.

انتقل معي إن شئت إلى المدينة.. وانظر إلى رسول الله ﷺ وقد جلس في مجلسه المبارك.. بعدما انتشر الدين.. ووُحِّد رب العالمين.. جعل رؤساء القبائل يأتون إليه مذعنين مؤمنين.. ومنهم من كانوا يأتون صاغرين حاقدين.

وفي يوم أقبل رئيس من رؤساء العرب.. له في قومه مُلْك ومنعة.

أقبل عامر بن الطفيل.. وكان قومه يقولون له لما رأوا انتشار الإسلام: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم. وكان متكبرًا متغطرسًا.. فكان يقول لهم: والله لقد كنت أقسمت ألا أموت حتى تملِّكني العربَ عليهم وتتبع عقبي.. فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش!!

ثم لما رأى تمكن الإسلام.. وانصياع الناس لرسول الله ﷺ.

ركب ناقته مع بعض أصحابه ومضى إلى رسول الله ﷺ..

دخل المسجد على رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه الكرام..

فلما وقف بين يدي النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: يا محمد خالني.. أي: قف معي على انفراد.

وكان ﷺ حذرًا من أمثال هؤلاء.. فقال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده.

فقال: يا محمد خالني. فأبى النبي ﷺ.. فلا زال يكرر: يا محمد قم معي أكلمْك.. يا محمد قم معي أكلمْك.. حتى قام معه رسول الله ﷺ.

فاجتر عامر إليه أحد أصحابه اسمه «أربد»، وكان قد اتفق معه على قتل رسول الله ﷺ.. وقال: إني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاضربه بالسيف.. فجعل أربد يده على سيفه واستعد.

فانفرد الاثنان إلى الجدار.. ووقف معهما رسول الله ﷺ يكلم عامرًا.. وقبض أربد بيده على السيف.. فكلما أراد أن يسله يبست يده.. فلم يستطع سلَّ السيف.

وجعل عامر يشاغل رسول الله ﷺ.. وينظر إلى أربد.. وأربد جامد لا يتحرك.. فالتفت ﷺ فرأى أربد وما يصنع.

فقال: «**يا عامر بن الطفيل.. أسلم**».

فقال عامر: يا محمد، ما تجعل لي إن أسلمت؟

قال ﷺ: «**لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم**».

قال عامر: أتجعل لي الملك من بعدك إن أسلمت؟

لم يشأ النبي ﷺ أن يعد عامرًا بوعد قد لا يتحقق.. فكان صريحًا جريئًا معه.. وقال: ليس ذلك لك ولا لقومك.

فخفف عامر الطلب قليلًا.. وقال: أُسْلِم على أن لي الوبر ولك المدر.. أي: أكون ملكًا على البادية، وأنت على الحاضرة.

فإذا به ﷺ أيضًا لا يريد أن يلزم نفسه بوعود لا يدري تتحقق أم لا.. فقال: لا.

عندها غضب عامر وتغيَّر وجهه.. وصاح بأعلى صوته: والله يا محمد.. لأملأنها عليك خيلًا جردًا.. ورجالًا مردًا.. ولأربطن بكل نخلة فرسًا.. ولأغزونك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء.

ثم خرج يزبد ويرعد.. فجعل ﷺ ينظر إليه.. ثم رفع ﷺ بصره إلى السماء وقال: اللهم اكفني عامرًا.. واهْدِ قومه.

خرج عامر مع أصحابه حتى إذا فارق المدينة متوجهًا إلى ديار قومه عازمًا على تجهيز جيش لغزو المدينة.

تعب من المسير.. وظهر عليه الإرهاق، واحتاج إلى مكان يرتاح فيه.. فصادف امرأة من قومه يقال لها: «سلولية»، وكانت في خيمة لها.. وكانت امرأة فاجرة.. يذمها الناس، ويتهمون من دخل بيتها بالفجور والسوء.

فلم يجد مأوى آخر.. فنزل عن فرسه مضطرًا ونام في بيتها.. فأخذته غُدَّة وانتفاخ في حلقه كما يظهر في أعناق الإبل فيقتلها.. ففزع واضطرب.. وجعل يتلمس الورم ويقول: غدة كغدة البعير.. وموت في بيت سلولية!!

أي: لا موت يشرف.. ولا مكان يشرف.

كان يتمنى أن يموت في ساحة قتال.. بسيوف الأبطال.. فإذا به يموت

بمرض حيوانات.. في بيت فاجرة!!

تبًّا للذل والمهانة.. فأخذ يصيح بأصحابه: قربوا فرسي.. فقربوه.. فوثب على فرسه.. وأخذ رمحه.. وصار يجول به الفرس.. وهو يصيح من شدة الألم.. ويتحسس عنقه بيده، ويقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

فلم تزل تلك حالة يدور به فرسه.. حتى سقط عن فرسه ميتًا.. تركه أصحابه.. ورجعوا إلى قومهم.. فلما دخلوا ديارهم.. أقبل الناس إلى أربد يسألونه: ما وراءك يا أربد؟ **فقال:** لا شيء.. والله لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء.. لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله سبحان الله.. تعالى الله.. ما أجرأه على الله!!.

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له ليبيعه.. فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما..

وأنزل الله ﷻ في حال عامر وأربد: ﴿**اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۞ سَوَاءٌ مِّنْكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۞ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن والٍ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۞ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۞ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلاَلٍ**﴾ [الرعد: ٨- ١٤].

نعم.. لا تلتزم إلا بما تثق أنه يمكنك الوفاء به.. بعون الله.

قام ﷺ مرة خطيبًا في الناس.. فتكلم عن الآخرة وأحوالها.. ثم رفع صوته قائلًا: «**يا فاطمة بنت محمد.. سليني من مالي ما شئت.. فإني لا أغني عنك من الله شيئًا**».

وأخيرًا.. مع التأكيد على أهمية الالتزام بالشيء إلا وأنت قادر عليه.. إلا أنه ينبغي عند الاعتذار أن نستعمل أسلوبًا ذكيًّا.

فمثلًا.. جاء إليك رجل لتبحث لأخيه عن وظيفة.. لأن أباك مسئول كبير.. أو أخاك.. أو أنت.. ووجدت أنك لا تستطيع خدمته.

فاعتذر بأسلوب يحفظ ماء وجهه ويجعله يشعر أنك تشاركه الهم.. قل - مثلًا: يا فلان.. أنا أشعر بمعاناتك.. وأخوك أعتبره أخي.. ولئن كان إخواني خمسة؛ فهو السادس.. لكن المشكلة أنني لا أستطيع أن أفعل شيئًا الآن.. فاعذرني.. وأسأل الله أن يوفق أخاك.

مع ابتسامة لطيفة.. وتعبيرات وجه مناسبة.

فكأنك بهذا الردِّ الجميل قضيت له ما يريد.. أليس كذلك..؟

وجهة نظر

كن صريحاً مع نفسك.. جريئًا مع الناس.

واعرف قدراتك.. والتزم بحدودها.

openkanar.com

التواضـــــع

كنت في مجلس فيه عدد من الوجهاء.. فتحدَّث أحد من رآه استغنى! وقال في أثناء حديثه:

ومررت بأحد العمال.. فمدَّ يده ليصافحني.. فترددتُ ثم مددت يدي وصافحته..

ثم قال بشيء من الغرور: مع أني لا أعطي يدي لأي أحد!!

ما شاء الله.. يقول: لا أعطي يدي لأي أحد.

أما رسول الله ﷺ.. فكانت الأمة المملوكة الضعيفة.. تلقاه في وسط الطريق.. فتشتكي إليه من ظلم أهلها.. أو كثرة شغلها.. فينطلق معها إلى أهلها ليشفع لها..

وكان يقول: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر..

كم سمعنا الناس يرددون: يا أخي.. فلان متكبر.. فلان «شايف نفسه».. ويبغضونه بسبب هذا الخلق ويذمونه.

وتسأله: لماذا لم تستعن بجارك في كذا؟

فيقول: فلان متكبر علينا.. ما يعطينا وجه!!

آآآآه كم هم مبغوضون أولئك الذين يتكبرون على الناس.. ويعاملونهم باستعلاء.. كم هو منبوذ.. ذاك الذي يطغى أن رآه استغنى.

obeikandl.com

ذاك الذي يصعِّر خده للناس، ويمشي في الأرض مرحًا.

ذاك الذي يتكبر على العمال.. والخدام.. والفقراء.

يتكبر عن محادثتهم.. ومصافحتهم.. ومجالستهم.

لَمَّا دخل ﷺ مكة فاتحًا.. جعل يمرُّ بطرقات مكة التي طالما أوذي فيها واسُتهزئ به.. كم سمع في طرقاتها.. يا مجنون.. ساحر.. كاهن.. كذاب.. وهو اليوم يدخلها قائدًا عزيزًا ممكنًا.. قد أذل الله أهلها بين يديه.

فكيف كان شعوره وهو داخل؟

قال عبد الله بن أبي بكر -رضي الله عنهما: لما وصل رسول الله ﷺ إلى «ذي طوى».. وقف على راحلته معتجرًا بقطعة بُرْدٍ حمراء.. وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعًا لله.. حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح.. حتى إن عثنونه (طرف لحيته) ليكاد يمس واسطة الرحل.

وقال أنس رضي الله عنه: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعًا.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فكلَّمه في شيء.. فأخذته الرعدة.

فقال ﷺ:

«**هوِّن عليك.. فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد**» (اللحم المجفف).

وكان ﷺ **يقول:**

obeikandl.com

«أجلس كما يجلس العبد.. وآكل كما يأكل العبد».

نعم..

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تكُ كالدخان يعلو بنفسه ... على طبقات الجو وهو وضيع

باختصار

من تواضع لله رفعه.

وما زاد الله عبدًا بالتواضع إلا عزًّا.

obeikandl.com

العبـــادة الخفيـــة

قبل عشر سنوات.. في أيام ربيع.. وفي ليلة باردة كنت في البر مع أصدقاء.. تعطلت إحدى السيارات.. فاضطررنا إلى المبيت في العراء.. أذكر أنا أشعلنا نارًا تحلقنا حولها.

وما أجمل أحاديث الشتاء في دفء النار.

طال مجلسنا فلاحظت أن أحد الإخوة انسلَّ من بيننا.. كان رجلًا صالحًا.

كانت له عبادات خفية.. كنت أراه يتوجَّه إلى صلاة الجمعة مبكرًا.. بل أحيانًا وباب الجامع لم يفتح بعد..!!

قام وأخذ إناء من ماء.. ظننت أنه ذهب ليقضي حاجته.. أبطأ علينا..

فقمت أترقبه.. فرأيته بعيدًا عنا.. قد لفَّ جسده برداء من شدة البر، وهو ساجد على التراب.. في ظلمة الليل.. وحده.. يتملق ربه ويتحبب إليه.. كان واضحًا أنه يحب الله تعالى.. وأحسب أن الله يحبه أيضًا.

أيقنت أن لهذه العبادة الخفية عزًّا في الدنيا قبل الآخرة.. مضت السنوات.

وأعرفه اليوم.. قد وضع الله له القبول في الأرض.. له مشاركات في الدعوة وهداية الناس.

إذا مشى في السوق أو المسجد رأيت الصغار قبل الكبار يتسابقون إليه مصافحين ومحبين.

كم يتمنى الكثيرون من تجار وأمراء ومشهورين أن ينالوا في قلوب الناس من المحبة مثل ما نال.. ولكن هيهات..

obeikandl.com

أَأَبيتُ سَهرانَ الدُّجى وَتَبِيتُهُ نَومًا وَتَبغي بَعدَ ذاكَ لِحاقي؟

نعم.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]..

أي: يجعل الله لهم محبة في قلوب الخلق.

إذا أحبك الله جعل لك القبول في الأرض.

قال ﷺ: «إن الله إذا أحب عبدًا نادى جبريل.. فقال: إني قد أحببت فلانًا فأحبه.. فيحبه جبريل.. ثم يُنادي في أهل السماء: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبوه.. فيحبه أهل السماء..

قال: ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض؛ فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل: إني أبغضت فلانًا فأبغضه.. فيبغضه جبريل.

ثم يُنادى في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه.. فيبغضه أهل السماء.. ثم تنزل له البغضاء في الأرض..»[1]

آآآه.. ما أجمل أن تعيش على الأرض.. تأكل وتشرب، وتنام.. والله ينادي باسمك في السماء: «**إني أحب فلانًا فأحبوه**».

قال الزبير بن العوام ﷺ: من استطاع منكم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل.

والعبادة الخفية أنواع:

---

(١) رواه البخاري ومسلم، واللفظ له.

منها: الحفاظ على صلاة الليل.. ولو ركعة واحدة وترًا كل ليلة.. تصليها بعد العشاء مباشرة.. أو قبل أن تنام.. أو قبل الفجر.. لتكتب عند الله من قوام الليل..

قال ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر.. فأوتروا يا أهل القرآن.. ومنها: السعي في الإصلاح بين الناس.. بين الزملاء المتخاصمين.. بين الجيران.. بين الزوجين». قال ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟». قالوا: بلى.. **قال:** إصلاح ذات البين.. وفساد ذات البين هي الحالقة[1] ومنها:

الإكثار من ذكر الله.. فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره..

وفي الحديث.. قال ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم.. وأرفعها في درجاتكم.. وخير لكم من إعطاء الذهب والورق.. وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم..».قالوا:** بلى.. وما ذاك يا رسول الله؟ **قال: «ذكر الله ﷻ»**[2]. **ومنها:** صدقة السرِّ.. فصدقةُ السر تطفئ غضب الربِّ.

كان أبو بكر ﷺ إذا صلى الفجر خرج إلى الصحراء.. فاحتبس فيها شيئًا يسيرًا.. ثم عاد إلى المدينة. فعجب عمر ﷺ من خروجه.. فتبعه يومًا خفية بعدما صلى الفجر.. فإذا أبو بكر يخرج من المدينة، ويأتي على خيمة قديمة في الصحراء.. فاختبأ له عمر خلف صخرة.

فلبث أبو بكر في الخيمة شيئًا يسيرًا.. ثم خرج.. فخرج عمر من وراء

---

(١) رواه أحمد وغيره (صحيح).

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، صحيح.

obeikandl.com

صخرته ودخل الخيمة.. فإذا فيها امرأة ضعيفة عمياء.. وعندها صبية صغار.

فسألها عمر: من هذا الذي يأتيكم؟ **فقالت:** لا أعرفه.. هذا رجل من المسلمين.. يأتينا كل صباح.. منذ كذا وكذا. **قال:** فماذا يفعل؟ **قالت:** يكنس بيتنا.. ويعجن عجيننا.. ويحلب داجننا.. ثم يخرج. فخرج عمر وهو يقول: لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر.. لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر.

ولم يكن عمر ﷺ بعيدًا في تعبده وإخلاصه عن أبي بكر.

فقد رآه طلحة بن عبيد الله.. خرج في سواد الليل.. فدخل بيتًا ثم خرج منه ودخل بيتًا آخر.. فعجب طلحة.. ماذا يفعل عمر في هذه البيوت!!

فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت الأول.. فإذا عجوز عمياء مقعدة.. فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟

قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا.. يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى..

فخرج طلحة وهو يقول: ثكلتك أمك يا طلحة.. أعثرات عمر تتبع؟

وخرج عمر مرة ﷺ إلى ضواحي المدينة.. فإذا برجل عابر سبيل نازل وسط الطريق.. وقد نصب خيمة قديمة.. وقعد عند بابها.. مضطرب الحال..

فسأله عمر: من الرجل؟ **قال:** من أهل البادية.. جئت إلى أمير المؤمنين أُصيبُ من فضله. فسمع عمر أنين امرأة داخل الخيمة.. فسأله عنه؟ **فقال الرجل:** انطلق رحمك الله لحاجتك. **قال عمر:** هذا من حاجتي. **فقال:** امرأتي في الطلق –يعني: تلد– وليس عندي مال ولا طعام ولا أحد.. فرجع عمر إلى بيته سريعًا، **فقال** لامرأته أم كلثوم بنت عليٍّ بن أبي طالب –رضي الله عنها

وعن أبيها: هل لك في خير ساقه الله إليك؟ **قالت:** وما ذاك؟!

فأخبرها بخبر الرجل.. فحملت امرأته معها متاعًا.. وحمل هو جرابًا فيه طعام.. وقدرًا وحطبًا.. ومضى إلى الرجل. ودخلت امرأة عمر على المرأة في خيمتها.. وقعد هو عند الرجل.. فأشعل النار وأخذ ينفخ الحطب.. ويصنع الطعام، والدخان يتخلل لحيته. والرجل قاعد ينظر إليه..

فبينما هو على ذلك.. إذ صاحت امرأته من داخل الخيمة.. يا أمير المؤمنين.. بشِّر صاحبك بغلام.. فلما سمع الرجل.. كلمة «أمير المؤمنين».. فَزِعَ وقال: أنت الخليفة عمر بن الخطاب.

قال: نعم. فاضطرب الرجل.. وجعل يتنحى عن عمر. **فقال له عمر:** ابق مكانك.

ثم حمل عمر القدر.. وقربه إلى الخيمة، وصاح بامرأته أم كلثوم.. أشبعيها.. فأكلت المرأة من الطعام. ثم أخرجت باقي الطعام خارج الخيمة.. فقام عمر فأخذه فوضعه بين يدي الرجل.. وقال له: كُلْ.. فإنك قد سهرت من الليل. ثم نادى عمر امرأته فخرجت إليه.. فقال للرجل: إذا كان من الغد.. فأتنا نأمر لك بما يصلحك.

فرحم الله عمر.. تواضع.. وعبادة خفية.. والغاية كسب محبة الله.

وكان عليٌّ بن الحسين -رضي الله عنهما- يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل.. فيتصدق بها.. ويقول: إن صدقة السرِّ تطفئ غضب الربِّ.

فلما مات وجدوا في ظهره آثار سواد.. فقالوا: هذا ظهر حَمَّال.. وما علمناه اشتغل حَمَّالًا.

فانقطع الطعام عن مائة بيت في المدينة.. من بيوت الأرامل والأيتام..

obeikandl.com

كان يأتيهم طعامهم بالليل.. لا يدرون من يحضره إليهم.. فعلموا أنه هو الذي كان يحمل الطعام إلى بيوتهم بالليل وينفق عليهم.

وصام أحد السلف عشرين سنة.. يصوم يومًا ويفطر يومًا.. وأهله لا يدرون عنه.

كان له دكان يخرج إليه إذا طلعت الشمس، ويأخذ معه فطوره وغداءه..

فإذا كان يوم صومه تصدق بالطعام..

وإذا كان يوم فطره أكله.. فإذا غربت الشمس رجع إلى أهله وتعشى معهم. نعم.. كانوا يستشعرون العبودية له في جميع أحوالهم.

هم المتقون.. والله يقول:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ` حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ` وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ` وَكَأْسًا دِهَاقًا ` لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ كِذَّابًا ` جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣١- ٣٦].

فاطلب محبة الخالق.. وهو يتكفل بزرع محبتك في قلوب خلقه.

إضاءة

ليس الغاية أن تكون ظواهر الآخرين تحبك

إنما الغاية أن تحبك بواطنهم أيضًا.

obeikandl.com

أخرجهم من الحفرة!!

ألم يقع مرة أن أحرجك شخص في مجلس عام بكلمة جارحة.. أو ربما سخر منك.. بأي شيء وإن كان صغيرًا.. بلباسك.. أو كلامك.. أو أسلوبك.. فظهر الإحراج على وجهك.. وامتقع لونك.

فدافع عنك شخص ما.. فشعرت بامتنان عظيم له.. لأنه كأنما أمسك بطرف ثوبك عندما دفعك غيرك إلى هاوية.

مارس هذه المهارة مع الآخرين.. وسترى لها تأثيرًا ساحرًا.

لو دخلت على شخص، وأقبل ولده يحمل طبقًا في طعام، لكنه استعجل قليلًا.. فكاد أن يقع الطبق على الأرض.. فانطلق الأب عليه ثائرًا.. يصرخ به قائلًا: لماذا العجلة؟ كم مرة أعلمك؟.

فاحمر وجه الولد واصفر.

فقلت أنت: لا.. بل فلان بطل.. رجُل.. ما شاء الله عليه، يحمل كل هذا لوحده.. ولعله استعجل لأن فيه أغراضًا أخرى أيضًا.

الله أيُّ امتنان سيشعر به الغلام لك.

هذا مع الصغار.. فما بالك مع الكبار.

لو أثنيت على زميل في اجتماع.. بعدما صبوا عليه وابلًا من اللوم.

أو أثنيت على أحد إخوانك.. بعدما انكبَّ أفراد الأسرة عليه معاتبين.

شابٌّ أحرجه شخص بسؤال أمام الناس: بَشِّرْ يا فلان.. كم نسبتك في الجامعة؟! بالله عليك.. هل هذا سؤال يسأله عاقل أمام الناس؟!!

obeikandl.com

فانقلب وجه الشاب متلونًا.

فأنقذته قائلًا بلطف: لماذا يا أبا فلان تسأله عن نتيجته في الجامعة؟ هل ستزوجه؟!! أو عندك وظيفة له؟ أو.. فضحكوا ونُسي السؤال.

أو: لو عاتبه على دنو معدله الدراسي.. فقلت: يا أخي لا تلمه.. تخصصه صعب.. لكن سيكون أفضل في الفصل القادم.. إن شاء الله.

كسب محبة الناس فرص يقتنصها الأذكياء..

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكلِّ خافقة سكون

كان عبد الله بن مسعود ﷺ.. يمشي مع النبيِّ ﷺ.. فمرَّا بشجرة، فأمره النبي أن يصعدها، ويحتزَّ له عودًا يتسوك به.

فرقي ابن مسعود.. وكان خفيفًا.. نحيل الجسم.. فأخذ يعالج العود لقطعه.. فأتت الريح فحرَّكت ثوبه وكشفت ساقيه.. فإذا هما ساقان دقيقتان صغيرتان.. فضحك القوم من دقة ساقيه.

فقال النبي ﷺ: «مم تضحكون؟!.. من دقة ساقيه؟! والذي نفسي بيده إنهما أثقل في الميزان من أحد»(١)

فماذا سيكون شعور عبد الله بن مسعود بعدما ضحك الناس منه.. ثم دافع عنه النبي ﷺ وأثنى عليه.

وجهة نظر

كسب محبة الناس فرص يقتنصها الأذكياء.

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما (صحيح).

obeikandi.com

الاهتمـــام بالمظهـــر

كان أبو حنيفة جالسًا يومًا بين طلابه في المسجد يدرس.. وكان به ألم في ركبته وقد مدَّ رجله.. واتكأ على جدار.

في هذه الأثناء أقبل رجل عليه لباس حسن.. وعمامة حسنة.. ومظهر مهيب.. وكان وقورًا في مشيته.. جليلًا في خطوته.. أفسح له الطلاب حتى جلس بجانب أبي حنيفة.

فلما رأى أبو حنيفة مظهره.. ورزانته.. ورتابة هيئته.. استحى من طريقة جلسته وثنى رجله.. وتحمَّل ألم ركبته لأجله.

استمر أبو حنيفة في درسه والرجل يسمع.

فلما انتهى من الدرس.. بدأ الطلاب يسألون.. فرفع ذلك الرجل يده ليسأل. التفت إليه الشيخ.. وقال: ما سؤالك؟

فقال: يا شيخ.. متى وقت صلاة المغرب؟ **قال:** إذا غربت الشمس..!! **قال:** وإذا جاء الليل والشمس لم تغرب.. فماذا نفعل؟! **فقال أبو حنيفة:** آن لأبي حنيفة أن يمدَّ رجليه.. ومدَّ رجله كما كانت. وسكت عن هذا السؤال المتناقض!!.. إذ كيف يأتي الليل والشمس لم تغرب؟!!

يقولون: إن النظرة الأولى إليك تكون في ذهن المقابل أكثر من ٧٠٪ من تصوره عنك. ويبدو أنه عند التأمل ستجد أن النظرة الأولى تكون أكثر من ٩٥٪ عنك.. حتى تتكلم.. أو تعرِّف بنفسك، فتزيد النسبة عند ذلك أو تقل.

ولو مشيت في ممر في مستشفى أو شركة وبجانبك شخص عليه ثياب حسنة.. وعليه وقار في مشيته.. لرأيت أنك –ربما لا شعوريًا– إذا وصلت إلى

obeikandl.com

باب في الممر التفت إليه وقلت له: تفضل.. طال عمرك!!

ولو ركبت سيارة أحد أصدقائك فرأيتها فوضى. هنا فردة حذاء مرمي. وهنا ورق شاورما. وهنا منديل. وأشرطة كاسيت متناثرة.

لكونت فكرة عن الشخص مباشرة أنه فوضوي.. غير مبالٍ بالترتيب.

وكذلك في لباس الناس.. ومظهرهم العام.

والذي أعنيه هنا هو الاهتمام بالمظهر لا الإسراف في اللباس أو السيارة.. أو الأثاث.. أو غيرها.

كان رسول الله ﷺ يعتني بهذه النواحي كثيرًا.. فكان له حلة حسنة يلبسها في العيدين والجمعة.. وكانت له حلة يلبسها في استقبال الوفود.. كان يعتني بمظهره ورائحته.. وكان يحبُّ الطيب.

قال أنس رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ.. أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ.. إذا مشا تكفأ، وما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كفِّ رسول الله ﷺ.. ولا شممت مسكًا ولا عنبرًا أطيب من رائحة النبي ﷺ.. وكانت يُده مطيبة كأنما أخرجت من جؤنة عطار. وكان ﷺ.. يعرف بريح الطيب إذا أقبل.**

وقال أنس رضي الله عنه: **كان رسول الله ﷺ لا يرد الطيب.**

وكان ﷺ أحسن الناس وجهًا.. كان وجهه مستنيرًا كالشمس.

وكان إذا سُرَّ استنار وجهه.. حتى كأن وجهه قطعة قمر».

قال جابر بن سمرة: «**رأيت رسول الله ﷺ في ليلة مضيئة مقمرة.. فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر.. وعليه ﷺ حلة حمراء.. فإذا هو عندي أجمل من القمر**».

وكان -عليه الصلاة والسلام- يأمر المسلمين بمراعاة المظهر.

عن أبي الأحوص عن أبيه ﷺ.. قال: أتيت النبي ﷺ وعليَّ ثوب دون (أي: رديء).

فقال ﷺ: «ألك مال؟». قلت: نعم. **قال: «من أي المال؟» قلت:** من الإبل والبقر والغنم والخيل والرقيق. **فقال ﷺ: «فإذا آتاك الله مالًا.. فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته». وقال ﷺ: «مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً؛ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبده».**

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أتانا رسول الله ﷺ.. زائرًا في منزلنا، فرأى رجلًا شعثًا قد تفرَّق شعره.. فقال: **«أما كان يجد هذا ما يُسكِّن به شعره؟»** ورأى رجلًا آخر وعليه ثياب وسخة فقال: **«أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟» وقال: «من كان له شَعر؛ فليكرمه».**

وكان يحرص على حسن السمت.. وجمال الشكل.. واللباس.. وطيب الرائحة.. وكان يردد في الناس قائلًا: **«إن الله جميل يحبُّ الجمال».**[1]

نجربة

النظرة الأولى إليك تطبع في ذهن المقابل ٧٠٪ من تصوره عنك.

(١) رواه مسلم.

obeikandl.com

الصـــــــدق

أذكر أني كنت أراقب على الطلاب يومًا في قاعة الامتحان.. وكان الامتحان يوم خميس.

ومع أن يوم الخميس هو إجازة أصلًا إلا أننا اضطررنا أن نجعل فيه امتحانًا لزحمة المواد الدراسية.

بعد مضي بضع دقائق من بداية الامتحان.. أقبل أحد الطلاب متأخرًا.. كان المسكين يبدو عليه الاضطراب الشديد.

قلت له: عفوًا.. أتيت متأخرًا، ولن أسمح لك بدخول الامتحان.. فبدأ يرجوني أن أسمح له.

قلت: ما الذي أخرك؟! **قال:** والله يا دكتور.. راحت عليَّ نومة!!

أعجبني صدقه.. وقلت: تفضل.. فدخل وامتحن.

بعده بدقائق أقبل طالب آخر.

قلت: ما أخرك؟ **قال:** يا دكتور، والله الطريق زحمة.

تعرف أن الناس في الصباح يخرجون جميعًا لأعمالهم.. هذا ذاهب لجامعته.. وهذا لشركته.. وهذا.

ويجعل يعدد عليَّ ليقنعني أن الطريق زحمة.. ونسي المسكين أن اليوم إجازة للموظفين.. وربما ليس في الطرق إلا طلابنا!!

قلت له: يعني الشوارع زحمة.. والسيارات تملأ الطرق؟

قال: إي والله يا دكتور.. سبحان الله.. كأنك كنت معي!!.

obeikandl.com

قلت: يا شاطر!! إذا أردت أن تكذب فاضبط الكذبة.. يا أخي اليوم خميس.. يعني: عطلة، ما فيه أعمال.. ولا موظفون.. من أين جاءت الزحمة؟!!

قال: آه يا دكتور.. نسيت.. «بنشر عليَّ الكفر».. أي: تعطلت إحدى إطارات السيارة.. فوقفت لإصلاحها...!!

كان المسكين مضطربًا متورطًا.. فضحكت ودخل ليمتحن.. نعم.

ما أقبح أن يكتشف الناس أنك تكذب عليهم.

الكذب ينفرُّ الناس عنك.. ويفقدك المصداقية عندهم.. ويجعلهم لا يثقون فيك.

فلو وقعت لأحدهم مشكلة.. لن يشكوها إليك.. ولو تكلمت بشيء لن يسمعوه بتقبل.

ما أقبح الكذب قال ﷺ: «**يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب**».[1]

وسئل ﷺ: فقيل له: يا رسول الله.. أيكون المؤمن جبانًا؟

فقال: نعم. فقيل: أيكون المؤمن بخيلًا؟ **فقال: نعم. فقيل:** أيكون المؤمن كذابًا؟ **فقال: لا..**[2]

وقال عبد الله بن عامر رضي الله عنه: دعتني أمي يومًا.. ورسول الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا.

فقالت: ها.. تعال أعطيك. **فقال** لها رسول الله ﷺ: **وما أردت أن**

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مالك في الموطأ، وهو مرسل.

obeikandi.com

تعطيه؟ قالت: أعطيه تمرًا. **فقال لها: أما إنك لو لم تعطيه شيئًا.. كتبت عليك كذبة**[1].

وكان ﷺ إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة.. لم يزل معرضًا عنه.

في كثير من الأحيان يندفع بعض الناس إلى الكذب؛ لأجل إظهار أنفسهم بصورة أكبر من الحقيقة.

فتجده يكذب في بطولات يؤلفها. ومواقف يخترعها. أو يزيد في القصص ليملحها. أو يدعي أشياء عنده وهو كاذب.. فيتشبع بما لم يعط. أو تجد الكذاب يَعِدُ ويُخْلف. أو يتورط بأمور.. فيختلق أعذارًا متنوعة.. وسرعان ما يكتشف الناس كذبه فيها.

وقف الإمام الزهري أمام السلطان.. فشهد على شيء.

فقال السلطان: كذبت.

فصاح الزهري: أعوذ بالله.. أنا أكذب!! والله لو نادى منادٍ من السماء: إن الله أحلَّ الكذب.. لما كذبت.. فكيف وهو حرام!!

حقيقة

خدعوك فقالوا: كذبة بيضاء..

لأن الكذب لونه أسود.

---

(١) رواه أبو داود (حسن).

الشجاعـــــة

قال لي بعدما خرجنا من الوليمة: تصدق كنت أعرف اسم الصحابي الذي ذكرتم قصته.. ولم تتذكروا اسمه.. قلت: عجبًا!! لماذا لم تذكره!.. وقد رأيتنا متحيرين؟!

خفض رأسه وقال: خجلت أن أتكلم.

قلت في نفسي: تبًّا للجبن.

وآخر كان يدرس معي في السنة الأخيرة من الثانوية.

التقيت به يومًا في ذلك الحين فقال لي: قبل يومين دخلت الفصل.. فرأيت الطلاب واجمين.. والمدرس جالس على كرسيه.. بدون شرح.

جلست وسألت الذي بجانبي: ما الخبر؟!

قال: زميلنا عساف مات البارحة.. رحمه الله.

كان في الفصل عدد من أصدقاء عساف.

تاركون للصلاة.. والغون في عدد من المحرمات.

كان تأثير الخبر عليهم واضحًا.. حدثتني نفسي أن ألقي عليهم كلمة وعظية أحثهم فيها على الصلاة.. وبر الولدين.. وإصلاح النفس.

قلت له: ممتاز.. هل فعلت؟

قال: بصراحة.. لا.. خجلت.

سكتُ.. وكظمت غيظي وأنا أقول في نفسي: تبًّا للجُبن؟!!

امرأة تسألها: لماذا لم تصارحي زوجك بالموضوع؟

obeikandl.com

فتقول: أستحي!! خفت أن يتضايق مني!! خفت أن يهجرني.. خفت.. تبًّا للجبن؟!

شابٌّ تسأله: لِمَ لَمْ تخبر أباك بالمشكلة قبل أن تتفاقم؟!

فيقول: أخاف.. ما أتجرأ.

أو ربما رفع أحدهم ضغطك بقوله: أستحي أن أبتسم.. أخجل أنْ أثني عليه.. أخاف أن يقول الناس: فلان يجامل.. يستخف دمه.

أسمع هذه التصرفات كثيرًا.. فأتمنى أن أصرخ فيهم: يا جبناء.. إلى متى؟!

الجبان لا يبني مجدًا.. هو صفر على الشمال دائمًا.. إن حضر مجلسًا تلحف بجُبْنه، ولم يشارك برأي.. أو ينطق بكلمة.

وإن ذكروا نكتة ضحكوا وعلقوا.. أما هو فخفض رأسه وتبسم.

وإن حضر اجتماعًا لم ينتبه أحد لوجوده.

والأعظم من ذلك إن كان أبًا.. أو زوجًا.. أو مديرًا.. أو حتى زوجة أو أمًّا. الناس يكرهون الجبان.. وليس له قدر.. فعوِّد نفسك على الشجاعة في الإلقاء.. الشجاعة في النصح.

الشجاعة في تطبيق مهارات التعامل مع الناس.

وجهة نظرك

عوِّد نفسك ودرِّبها.. وإنما النصر: صبر ساعة.

الثبات على المبادئ

كلما كانت شخصية الشخص أقوى.. وثباته على مبادئه أشد.. كان أهمَّ في الحياة.

أحيانًا يكون من مبادئك عدمُ أخذ الرشوة.. مهما ملَّحوا أسماءها.. بقشيش.. هدية.. عمولة.. فاثبت على مبدئك.

زوجة يكون من مبادئها عدم الكذب على زوجها.. مهما زينوه لها.. تمشية حال.. كذب أبيض.. فلتثبت على مبادئها.

من المبادئ:

عدم تكوين علاقات محرمة مع الجنس الآخر.

عدم شرب الخمر.

شخص لا يدخن.. جلس مع أصحابه.. ليثبت على مبادئه.

الشخص الثابت على مبادئه، وإن انتقده أصحابه أحيانًا.. واتهموه بعدم المرونة.. إلا أن مشاعرهم الداخلية تؤمن أنها أمام بطل.

فتجد أن أكثرهم يلجأ إليه عند الشدائد.. أو ليستشيروه في مشاكله الشخصية.. ويشعر بأهميته أكثر من غيره.

وليس هذا خاصًّا بأحد الجنسين دون الآخر.. بل الرجال والنساء في ذلك سواء.. فأثبت على مبادئك ولا تقدم تنازلات.. عندها سيرضخ الناس لها.

لما ظهر الإسلام في الناس جعلت لقبائل تَفِدُ إلى رسول الله ﷺ.

obeikandl.com

فجاء وفد قبيلة ثقيف وكانوا بضعة عشر رجلًا.. فلما قدموا أنزلهم رسول الله ﷺ المسجد ليسمعوا القرآن.

فسألوه: عن الربا والزنا والخمر؟

فأخبرهم أن ذلك كله حرام.

وكان لهم صنم ورثوا عبادته وتعظيمه عن آبائهم.. اسمه «الرَّبَة».. ويصفونه بـ «الطاغية».

وينسجون حوله القصص والحكايات للدلالة على قوته.. فسألوه عن «الربة» ما هو صانع بها؟

فقال ﷺ دون تردد: «اهدموها».

ففزعوا.. وقالوا: هيهات.. لو تعلم الربة أنك تريد أن تهدمها.. قتلت أهلها!!

وكان عمر ﷺ حاضرًا.. فعجب من خوفهم من هدم صنم.. فقال: ويحكم يا معشر ثقيف!! ما أجهلكم!! إنما الرَّبة حجر!! لا يضر ولا ينفع.

فغضبوا: وقالو: إنا لم نأتك يا ابن الخطاب.. فسكت عمر.

فقالوا: نشترط أن تدع لنا الطاغية ثلاث سنين.. ثم تهدمه بعدها إن شئت.. فرأى النبي ﷺ أنهم يساومونه على أمر في العقيدة!! وهي أعظم مبدأ في حياة المسلم.. والتوحيد هو أصل الإسلام.. فما دام أنهم سيسلمون.. فما الداعي للتعلق بالصنم..!!

فقال ﷺ: «لا».

قالوا: فدعه سنتين.. ثم اهدمه..

obeikandl.com

قال: «لا».

قالوا: فدعه سنة واحدة..

قال: «لا».

قالوا: فدعه شهرًا واحدًا..

قال: «لا».

فلما رأوا أنه لم يستجب لهم في ذلك.. علموا أن المسألة مسألة شرك وإيمان.. لا مجال فيها للمفاوضة!!

قالوا: يا رسول الله.. فتولَّ أنت هدمها.. أما نحن فإنا لن نهدمها أبدًا..

فقال ﷺ: «سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها».

فقالوا: والصلاة.. لا نريد أن نصلي.. فإننا نأنف أن تعلو إست الرجل رأسه!!

يعني: لا يرضون لشدة تكبرهم تكون مؤخرة أحدهم وقت السجود أعلى من رأسه!!

فقال ﷺ: «أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك.. وأما الصلاة.. فلا خير في دين لا صلاة فيه..!!».

فقالوا: سنؤتيكها.. وإن كانت دناءة.

فكاتبوه على ذلك.. وذهبوا إلى قومهم.. ودعوهم إلى الإسلام.. فأسلموا على مضض.

ثم قدم عليهم رجال من أصحاب رسول الله ﷺ لهدم الصنم.. فيهم خالد بن الوليد.. والمغيرة بن شعبة الثقفي.

فتوجه الصحابة إلى الصنم.. ففزعت ثقيف.. وخرج الرجال والنساء والصبيان.. وجعلوا يرقبون الصنم.. وقد وقع في قلوبهم أنه لن ينهدم.. وأن الصنم سيمنع نفسه.

فقام المغيرة بن شعبة.. فأخذ الفأس.. والتفت إلى الصحابة الذين معه وقال: والله لأضحكنكم من ثقيف!!

ثم أقبل المغيرة بن شعبة إلى الصنم.. فضرب الصنم بالفأس.. ثم سقط على الأرض وجعل يرفس برجله.

فصاحت ثقيف.. وارتجوا.. وفرحوا.. وقالوا: أَبْعَدَ الله المغيرة.. قتلته الربة.. ثم التفتوا إلى بقية الصحابة وقالوا: من شاء منكم فليقترب.

عندها قام المغيرة ضاحكًا.. وقال: ويحكم يا معشر ثقيف.. إنما هي لُكاع (أي: مزحة).. وهذا صنم.. حجارة ومدر.. فاقبلوا عافية الله واعبدوه.

ثم أقبل يهدم الصنم.. والناس معه.. فما زالوا يهدمونها حجرًا حجرًا.. حتى سووها بالأرض.

وحي

«من طلب رضا الله بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن طلب رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس» صدق رسول الله ﷺ.

إغـــــــراءات

قرأت أن شابًّا مسلمًا في بريطانيا اطلع على إعلان لإحدى الشركات حول حاجتها إلى موظفين يعملون في الحراسات.

أقبل إلى اللجنة المختصة بمقابلة المتقدمين.. فإذا جمع كبير من الشباب.. ما بين مسلمين وغير مسلمين.

وكانوا يدخلون إلى لجنة المقابلة واحدًا تلو الآخر.

كلما خرج شخص من المقابلة سأله الواقفون.

عن ماذا سألوك؟ وبماذا أجبت؟

وكان من أهم أسئلة اللجنة لكل متقدم: كم كأسًا تشرب من الخمر يوميًّا؟!

جاء دور صاحبنا.. فدخل.. وتتابعت عليه الأسئلة.. حتى سألوه: كم تشرب من الخمر؟

فتردد الشاب.. هل يكذب ويدّعي أنه يشرب الخمر كبقية الشباب.. لئلَّا يقولوا: أنت مسلم متشدد.. أم يصدق ويقول: أنا مسلم، والله قد حرَّم عليَّ الخمر.. فأنا لا أشربها.. بعد تفكير سريع.. عزم على الصدق.

فقال: أنا لا أشرب الخمر.

قالوا: لماذا!! هل أنت مريض؟!

قال: لا.. لكني مسلم.. والخمر حرام.

قالوا: يعني لا تشربها حتى في عطلة آخر الأسبوع؟!!

obeikandl.com

قال: نعم.. لا أشربها أبدًا.

فنظر بعضهم إلى بعض متعجبين.

فلما ظهرت النتائج.. فإذا اسمه في أوائل المقبولين.

بدأ عمله معهم.. ومضى عليه أشهر.

وفي يوم لقي أحد المسئولين في تلك المقابلة وسأله: لماذا كنتم تكررون السؤال عن الخمر؟!

فقال: لأن الوظيفة المطلوبة هي في الحراسات.. وكلما توظف فيها شاب.. فوجئنا به يشرب الخمر ويسكر.. فيضيع مكانه، ويهجم على الشركة من يسرقها.. فلما وجدناك لا تشرب الخمر عرفنا أننا وقعنا على مبتغانا.. فوظفناك هنا!!

ما أجمل الثبات على المبادئ، وإن كثرت الإغراءات.

المشكلة أننا نعيش في مجتمعات قلَّ أن تجد فيها من يتمسك بمبادئه..

يعيش من أجلها ويموت من أجلها.. ويثبت على الالتزام بها.. وإن كثرت الإغراءات.

إذا مشيت على المنهج الصحيح.. والتزمت بالصراط المستقيم.. فأصحاب المبادئ الأخرى لن يتركوك.

فعدم قبولك للرشوة يغضب زملاءك المرتشين..

وامتناعك عن الزنا.. يغضب الفاعلين!!

ذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يعسُّ ليلة من الليالي.. يراقب وينظر.. فمرَّ بأحد البيوت في ظلمة الليل.. فسمع فيه أصوات ضحك وعبث وكأنها

obeikandl.com

أصوات رجال سكارى.

فكرِه أن يطرق عليهم الباب ليلًا.. وخشي أن يكون ظنه خاطئًا.. وأراد أن يتثبت من الأمر.. فتناول كسرة من فحم من على الأرض.. ووضع بها علامة على الباب ومضى.. سمع صاحب الدار صوتًا عن الباب.. فخرج.. فرأى العلامة.. ورأى ظهر عمر موليًّا.. ففهم القصة.

فكان الأصل أن يمسح العلامة، وينتهي الأمر.. لكن الرجل لم يفعل ذلك..!!

وإنما أخذ كسرة الفحم، وأقبل إلى بيوت جيرانه.. وجعل يرسم على أبوابها علامات!!

وكأنه يريد أن ينزل الناس إلى مستواه.. ليكونوا سكارى مثله.. ولا يريد أن يرتفع إلى مستواهم..!!

وفي المثل: ودَّت الزانية لو أن النساء كلهن زنين..

من التجارب في حياتنا..

أن تجد زوجة كثيرة الكذب على زوجها.. تربت على ذلك.. وتعودت عليه.. فإذا رأت من تنكر عليها وتنصحها بالصدق.. حاولت أن تجرها إلى مستنقعها.. فكررت عليها: الرجال ما يصلح معهم إلا كذا.. ما تمشي أمورك معه إلا بالكذب.. فلا تزال بها حتى تتنازل عن مبادئها وتتغير.. أو ربما تثبت.. ولعلها.

وقُلْ مثل ذلك في مسئول حسن الخلق مع موظفيه.. ويرى أن هذا مما يفيد العمل.. ويورث الراحة في قلوبهم.. ويزيد الإنتاج..

فيلقاه مسئول سيئ الخلق.. مبغوض من قبل موظفيه.. فيحسده – ربما–

أو يريد أن يقنعه بأسلوب آخر في التعامل.. فيقول له:

لا تفعل كذا.. وافعل كذا.. ولا تبتسم.. ولا.

أو صاحب بقالة لا يبيع السجائر.. فيأتيه صاحب له وينصحه ببيع السجائر ليزيد كسبه.. ويوسوس عليه ليقنعه بذلك.

فكن بطلًا، واثبت على مبادئك.. وقل بأعلى صوتك: لا.. مهما أغروك.

وقديمًا حاول الكفار مع رسول الله ﷺ أن يتنازل عن مبادئه.. فقال الله له: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

يعني أن الكفار عباد الأصنام لا مبادئ عندهم أصلًا ليحافظوا عليها.. وبالتالي لا مانع عندهم من التنازل عن مبادئهم..

فانتبه أن يغروك بترك مبادئك.

منهج

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾